وصف الناقة في شعر شعراء الطبقة الأولى الإسلامية

الأستاذ الدكتور
حاكم حبيب الكريطي
المدرس المساعد
مجبل عزيز حسن
جامعة الكوفة - كلية الآداب

ملخص البحث:

لم تغب الناقة عن القصيدة العربية بوصفها وسيلة لتسلية الهموم ، وأداة يفر الشاعر بواسطتها من حاضره المؤلم عبر رحلة قد تطول أو تقصر ، هذه الرحلة التي تعد مفصلا فنيا مهما من مفاصل القصيدة العربية التي حافظت على شكلها التقليدي الموروث على الرغم من التطور الذي طرأ على الحياة العربية .

حاول البحث الوقوف عند وصف الناقة في مقطع الرحلة في شعر شعراء الطبقة الأولى الإسلامية الذين لم يغفلوا الناقة ، فكانت حاضرة في أشعارهم ، وصفوها فاختلفوا في وصفهم لها في مواطن ، واتفقوا فيه في مواطن أخرى ، فقد عُني جرير بالوصف المعنوي لناقته مغلبا له على الوصف الحسي ، فوقف عند نسبها كثيرا ، في حين تراجع هذا المعنى عند الفرزدق الذي جنح إلى المحسوسات ، فهو يصف ناقته مكتفيا بصفاتها الجسدية ، غير انه كان أكثر قربا منها، فيحدثها كأنها تعقل ما يقول ، في حين نزع الأخطل إلى الموروث ، فاستقى منه الصورة فضلا عن العبارة والمفردة التي استعملها السلف من قبل ، أما الراعي النميري فكان كثير الوصف لناقته فضلا عن اتساع وصفه ليشمل المشاهد الثانوية التي تحيط بالناقة ، كوصف الصحراء والرياح والأمطار وغير ذلك من عناصر البيئة .

وصف الناقة في شعر شعراء الطبقة الأولى الإسلامية :

حافظت الناقة على حضورها في القصيدة العربية في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي على وجه الخصوص على الرغم من التحول الذي طرأ على الحياة العربية في مختلف مناحيها بما فيها الشعر ، ويبدو أن علة بقاء الناقة حاضرة في شعر هذه الحقبة

يعود إلى عمق الآصرة التي تجمعهما فضلا عن تمسك الشاعر العربي بالناقة بوصفها تقليدا فنيا ، وهذا ألقى بظلاله على نتاجه بوعي منه أو من دون وعي ، فكما أحبها الشاعر الجاهلي وفتن بها ووصف أعضاءها وطباعها حتى نافست محبوبته (١) ، كذلك أحبها الشاعر في العصر الأموي ؛ فكان وصفهم يدور حول المضامين ذاتها التي كانت سائدة في الشعر الجاهلي ، فالناقة ((قوية البنيان ، جمة النشاط شديدة الجلد على مكاره الصحراء ، عارفة بطرقاتها كأنها القطا ، تبلغ براكبها غايته مهما تلاق من كلال تهزل معه حتى تجول عليها نسوعها ، وتدمي اخفافها ، وتغور عيناها...)) (٢).

وكذلك الحال في شعر شعراء الطبقة الأولى الإسلامية اذ فتنوا بالناقة أيضا ، فكانت حاضرة في أشعارهم ، فهذا جرير يمدح عبد الملك بن مروان في قصيدة ويهجو الأخطل ، افتتحها بالغزل ، ثم انتقل إلى مقطع وصف الناقة الذي يمتد على مدى عشرة أبيات واصفا اياها بالنجائب كريمة النسب، يقول فيها (من الكامل):

أَينامُ لَيلُكِ يا أميمَ ولم يَنَمْ ... ليلُ المطيِّ وسَيرُهُنَّ ذَميلُ
يَكفيكَ إذ سَرَتِ الهُمُومُ فلم تُنِمْ ... قُلُصٌ لَواقِحُ كالقِسِيِّ وَحُولُ
نُجُبٌ منَ السِّرِّ العَتيقِ نَمى بِها ... فوقَ النَّجائِبِ شَدقَمٌ وجَديلُ
عَزَّتْ كَواهِلُها العَرائِكَ بعدما ... لحِقَ الثَّميلُ فما لهُنَّ ثَميـــــلُ (٣)

إن الحالة النفسية المتأزمة والهموم التي تكتنف الشاعر اثر وداع المحبوبة (أمامة) عندما حانت ساعة الرحيل اقتضت أن يجد له وسيلة تعينه على تبديد هذه الهموم التي كادت تعصف به إذ امتدت على مدى سبعة عشر بيتا افتتح بها قصيدته ، فما كان منه إلا أن يلجأ الى ناقة تسلي همومه وتحمله في رحلة محفوفة بالمخاطر ، فكان لزاما عليه أن يختار القوية النجيبة .

لقد أغدق الشاعر على نياقه الصفات التي ترفع من شأنها لتكون أهلا لرحلة شاقة، فعلى الرغم من حاجة الشاعر إلى قوتها وصلابتها إلا انه غلّب الجانب المعنوي فيها على الجانب المادي ، وان كان قد أشار إليه في بادئ الأمر ، فهي (نجب) وهي من أفضل الإبل نسبا إذ يرتفع نسبها إلى شدقم وجديل ، ولا يخلو هذا المنحى ؛ أي ميل الشاعر إلى وصف ناقته بالصفات المعنوية إلى إيجاد معادل نفسي لما وسمه به محيطه القبلي من ضعة

النسب وتراجع مكانة عائلته أمام علو مكانة غيره ، كالفرزدق ــ على سبيل المثال ــ فأسبغ على ناقته صفات النجابة و(النسب) الذي يرجع إلى أشهر الأصول وأكرمها.

ثم ينتقل إلى وصف ناقته التي بُريَ سنامها بفعل شدة وقع الرحال عليها حتى تآكلت وبقيت كواهلها على حالها فيشبهها بالقناة التي قشرها (الثقاف) ، وهنا تفضي هذه الصورة التشبيهية إلى إظهار قوة الناقة التي لم يتعبها السير في الليل ، فيقول:

مثلُ القنا سَحَجَ الثِّقافُ مُتُونَهُ فاهتزَّ فيه لُدُونَةٌ وذُبُولُ
تَنجو إذا عَلَمُ الفلاةِ رأيتَهُ في الآلِ يَقْصُرُ مرةً ويطولُ
وإذا تَقَاصَرَتِ الظِّلالُ تَشَنَّعتْ وخدَ النّعامِ وفي النُّسوعِ فُضُولُ
منْ كلِّ صادقَةِ النَّجاءِ كأنَّها قَرْواءُ رافعةُ الشَّراعِ جَفُولُ
كم قَطَعنَ اليكَ منْ متماحِلٍ جَدبِ المُعَرَّجِ ما بهِ تَعليلُ
نائي المناهلِ طامسٍ أعلامُهُ مَيْتِ الشَّخوصِ بهِ يكادُ يَحـــولُ (٤)

تتقاسم هذا المقطع هنا ثلاثة محاور: الأول وصف الناقة ، شكلها وقوتها ــ كما أسلفنا ــ والثاني الصحراء وأثرها على الناقة ، فيصف سيرها وهي تتمايل مثل (القنا) تهتز إذ تبقى شامخة على الرغم من شدة وقع الطبيعة على الأشياء التي تبدو للناظر كالأشباح يراها تتطاول وتتقاصر في عمق الصحراء اللاهبة ، والخادعة في بعض الأحيان إذ يُخيل للناظر أن أمام ناظريه بحراً لجياً ، ولكنه في حقيقته محض سراب تتراءى الجمال للناظر من خلاله بصور مشوشة ، والثالث وهو اللافت في شعر جرير أن ناقته كريمة النسب دائما، فهو لا يطيل بوصف الناقة ولا يتوسع بذكر صفاتها الجسدية التي تعني القوة والصلابة والقدرة على تحمل الصعاب ــ كما سنلاحظ عند الأخطل أو الفرزدق ــ وان شبهها بالسفينة (قرواء) أراد إبراز ضخامتها وارتفاعها وعزز ذلك بالسرعة (جفول) فأسبغ على ناقته من خلال هذه الصورة التشبيهية صفة القوة فضلا عن اهتمامه بنسب الناقة و كان يرمي من وراء ذلك إلى إظهار قوتها من خلال عراقة نسبها ، فهي أما لشدقم أو لجديل أو هي من بنات الداعري (٥)، يقول (من الطويل):

طَلَبْنَا أميرَ المُؤمنينَ، وَدُونَهُ تنائفُ غبرٌ واصلتها تنائف
بمائرةِ الأعضادِ إما لشدقمٍ وَامّا بَنَاتُ الدّاعِرِيّ العَلائِفُ

يخذنَ بنا وخداً وقدْ خضبَ الحصى مَنَاسِمُ أيْدي اليَعْمَلاتِ الرّوَاعِـــفُ(٦)

حاول الشاعر أن يجمع لناقته مقومات الكمال ليرتفع بها إلى صورة مثالية تلبي طموحه في الوصول إلى ممدوحه بسرعة تتحمل فيها مشقة الرحلة التي أدمت (مناسم) أيديها فهي رواعف فاصطبغ الحصى بدمائها ، إلا إن أخفافها الدامية لا تفت في أعضادها فهي (مائرة الاعضاد) وتنتمي إلى نسب كريم ، وهذه صفة لازمت ناقة جرير إذ يقول في قصيدة أخرى ، وهي مدحية أيضا(من الكامل):

لوْ زرتنا لرأيت حولَ رحالنا مثلَ الحنيِّ أملها الأسفارُ
نَزَعَ النّجائِبَ سَمْوَةٌ من شَدْقَمٍ وَالأرْحَبِيُّ، وَجَدُّهَا النَّظار
وَالعِيسُ يَهْجُمُهَا الهَجِيرُ كَأنّمَا يَغْشى المَغَابِنَ وَالذّفَارِيَ قَار
أنى تحنُّ إلى الموقرِّ بعدَ ما فَنِيَ العَرَائِكُ، وَالقَصَائِدُ رَار
والعيسُ تسحجها الرِّحال اليكمُ حتى تعرقَ نقْيَها الأكـــــوار (٧)

وناقة جرير هنا ضامرة شبهها بالقسي (مثل الحَنِيِّ) أضجرها السفر إلا إنها نجيبة انتقلت إليها صفات النجابة من (شدقم) و(الارحبي) ، ولا يكتفي الشاعر بإسقاط صفات هذين الفحلين على نجائبه بل نراه يتداعى في ذكر سلسلة نسبها فجدها (النظار) ، ولعل إثبات الشاعر لسلسلة نسب نياقه مما يلبي حاجة النفس التي تتوق إلى سمو النسب الذي يعد مطلبا ملحا عنده ، فالنسب يمثل نقطة ضعفه التي ولج الفرزدق من خلالها للنيل منه إذ إن اغلب أهاجيه تدور معانيها حول نسب جرير.

وفي موضع آخر يرسم جرير لنياقه (القلاص) تحت وطأت الحادي وهو يستحثها على المسير صورةً استمدها من تراث العرب إذ شبه فعل الحادي وأثره في حركة الإبل بـ (اليسر) الذي يجيل القداح فهو يحركها بعنف فتضطرب بين يديه ، وكذلك يفعل الحادي فهو (يجيل) القلاص فتضطرب بين يديه أيضا فتتحرك على غير هدى (عسفن) ، وتتضافر مجموعة من العوامل التي تسهم في تعقيد مهمتها ، منها الصحراء المترامية الأطراف الخالية من المثابات ، فهي (سهوب) مجهولة تشابهت أنحاؤها ، ومنها الآل(٨) الذي تضطرب فيه الأجسام ، يقول (من الوافر):

وَشَبّهْتُ القِلاصَ وَحادِيَيْهَا قِداحاً صَكَّهَا يَسَرَا قِمَارِ

وكَمْ كُلِّفْنَ دونَكَ من سُهوبٍ ... وَمِنْ لَيْلٍ يُواصَلُ بِالنَّهَارِ
ومجهولٍ عسفنَ بنا اليكمْ ... قصيرِ الظلِّ مشتبهِ الصحاري
يخب الآلُ إذْ نشرتْ صُواهُ ... على حِزَّانِهِ خببَ المِهَارِ
إذا خَلَجُوا الأزِمّةَ في بُرَاها ... وألصقنَ المواركِ بالذفتـــــاري (٩)

يتجلى في هذه الصورة التشبيهية المضطربة للناقة شدة التوتر النفسي الذي سيطر على الشاعر فبدا مضطربا ـــــــ كناقته ـــ على مدى مقدمة قصيدته التي اخذت عشرة أبيات تجاذبته فيها أشواقه المهتاجة ، ولوم العواذل ، وأضغان قوم المحبوبة ، فلم يجد من يقاسمه آلامه هذه غير ناقته فاسقط عليها بعض همه فبدت تعتسف الفلاة على غير هدى.

وفي قصيدة أخرى تبدو ناقة جرير ـ كعادتها ـــ ذات نسب معروف ، فهي جديرة بان تكون رحالها من أجود أنواع الخشب ، وبذلك انسجم منظر ناقته مع (مخبرها) ، فهي عيدية تعود إلى نسب عريق ، وخشب رحالها كذلك ، من شجر (الميس) ، أجاد الصانع صنعه ، إلا إن نشاطها وحركتها هز هذه الرحال (حتى تفرَّج ما بين المسامير) ، وهي ناقة صلبة وصبورة على تحمل شدة الحر ووهج الشمس ، وهنا وظف الشاعر (الحرباء) لاستجلاء الصورة وإظهار شدة الحر في الهاجرة إذ ينتصب (الحرباء) ليتقي برأسه حر الشمس في منتصف النهار عندما يتقاصر فيها الظل ، فتلج الشمس (ظل اليعافير) ، وهنا استمد الشاعر من بيئته الواسعة هذه الصورة ؛ ليظهر قسوة الطبيعة التي لم تثنِ عزيمة (العيس) وهي تيمم وجهها شطر الممدوح ، يقول (من البسيط):

سرنا منَ الدامِ والروحانِ والأدمى ... تنوي يزيدَ يزيدَ المجدِ والخيرِ
عيديّةٌ برِحالِ المَيْسِ تَنسُجُها ... حَتى تَفَرَّجَ مَا بَينَ المَسَامِيرِ
خوضَ العيونِ إذا استقبلنَ هاجرةً ... يُحسَبنَ عوراً وَما فيهنّ من عُورِ
تخدي بنا العيسُ والحرباءُ منتصبٌ ... والشمسُ والجةٌ ظلَّ اليعافيرِ
مِنْ كُلِّ شَوْساءَ لَمّا خُشَّ نَاظِرُها ... أدْنَتْ مُذَمَّرَها من وَاسطِ الكُورِ
ما كادَ تَبلُغُ أطْلاحٌ أضَرَّ بِهَا ... بُعْدُ المَفَاوِزِ بَينَ البِشْرِ وَالنَّيرِ
مِنَ المَهَارِي التي لمْ يُفْنِ كِدْنَتَها ... كرُّ الروايا ولمْ يحدجنَ في العيرِ

سرنا منَ الدامِ والروحانِ والأدمى تنوي يزيدَ يزيدَ المجدِ والخيرِ
صَبّحنَ في الركبِ، إنّ الركبَ قحّمه خمْسٌ جَمُوحٌ فهَذا وِرْدُ تَبتـــكيرِ (١٠)

ويبدو أن تشابه معجم شعراء هذه الطبقة وميلهم إلى القديم قد أثار استغراب الدكتور عبد القادر القط ، فوسم شعرهم بميسم التقليد ، إذ عد وجود لفظة بعينها من القديم في أشعارهم دليلا على ما ذهب إليه ، فتكرار الألفاظ التي كان يستخدمها الجاهليون في الوصف والرحلة التي بدأت تختفي في شعر طائفة أخرى من الشعراء يعد احتذاء لما درج عليه الجاهليون وهو ما يسمى بـ (الغريب) قد افرغ هذه المفردات من مدلولاتها ، فيقول : ((ولا شك أن تلك الألفاظ كان لها في البداية مدلولات وإيحاءات خاصة ببنيان الناقة أو صفة سيرها وبطبيعة الطريق والهاجرة والسراب والجبال وحيوان الصحراء من ظباء وثيران وحمر، لكنها عند هؤلاء الشعراء قد فقدت بإسرافهم في استخدامها دلالاتها الأولى الموحية بضروب خاصة من الصفات والأحوال النفسية ، وأصبحت مجرد أسماء لموصوفاتها الأولى ، وذلك كقولهم عن الناقة جَهَنْبَذة ... جُرشُعة ، عِرمس إلى أخر تلك الألفاظ التي كانت من قبل صفات فعادت بكثرة الاستخدام مجرد أسماء)) (١١)، وهو يرى أن وصف الناقة وما يلم بها من تعب وإجهاد على هذا النحو إنما هو تقليد محض يخلو من الابتكار أو الإضافة ، ولا يعبر عن تجربة الشاعر في الغالب وإنما هي مجرد جزئية في الصور التقليدية العامة (١٢) ، ومن الأمثلة التي ساقها من اجل إثبات ما يراه ، انه تتبع لفظة (خوص) التي توصف بها النوق في شعر شعراء هذه الطبقة ، ويبدو للباحث أن الألفاظ لا تمتلك القوة خارج السياق لكي يبنى عليها حكما يسلب من الشاعر تجربته وان تأثر بغيره ، ويمكن إثبات ذلك من خلال تتبع لفظة (خوص) ــ التي ساقها الدكتور عبد القادر القط مثالا لما أراد ــ عند هؤلاء الشعراء في سياقها لنتبين المعاني والصور المختلفة منها والمتشابهة (١٣)، فكلمة (خوص) تعني غؤور عين الناقة من شدة التعب والاعياء ، وهي لما كانت نجيبة تظل مسرعة وان بدت غائرة العينين ، فتصبح مفردة (خوص) في سياقها الجديد صفة من صفات كرم الناقة وأصالتها، في حين يصيب غيرها التعب والإعياء ، فتتخلف عنها (الرذايا) بسبب ما أصابها من تعب.

ويبدو أن ناقة الفرزدق لا تتمتع بما تمتعت به ناقة جرير من النجابة وعراقة النسب، فهي قد تتوانى أو تتعب ، فيضطر إلى معالجتها بسوطه ؛ ليحثها على الإسراع بعد أن استبد بها الضعف فتباطأت وترددت ، إذ يقول(من الطويل) :

وَمايرَةِ الأعْضَادِ قَد أجهَضَتْ نَتِيجَ خِداجٍ وَهْيَ نَاجٍ هَبا
تَعالَلْتُهَا بالسّوْطِ بَعْدَ التِياثِ بِمُقْوَرّةِ الأعْلامِ يَطْفُو سَرَابُهـــــــــا(١٤)

يظهر لنا من هذين البيتين أمران ، الأول: إن ناقة الفرزدق هذه لا تبدو أنها تتحدر من أصل نجيب ولا نسب عريق وان كانت قوية إلى حد ما ؛ لان الناقة النجيبة لا تحتاج إلى زجر أو استعمال (أدوات الحث) كالسوط (١٥)، ونجد الفرزدق في رحلته يلمّ بوصف صفات ناقته الجسدية ، فيسبغ عليها مظاهر القوة والصلابة من خلال تشبيهها تارة ، أو أن ينسب إليها صفات تدل على ذلك تارة أخرى ، فهي (سفينة بر) وهي (عذافرة)، و(عجرفية) ، وهي من(الذاملات).

ففي قصيدة مدحية يبدأ الشاعر مقطع الرحلة بتوجيه الخطاب إلى (الخليفة) مظهرا انقطاعه إليه (إليك أمير المؤمنين) ، فهو أمله في الخلاص من السجن وفكاك قيوده التي أدمت رجليه ومنعته من الحركة ، فكانت أُولى محاولاته أن أطلق العنان لناقته ، فألقى حبلها على غاربها، لتتدافع إذا ما سمعت صوت الحادي ، يقول(من الطويل):

إليكَ أميرَ المؤمنينَ تَعَسَّفَتْ بنا الصُّهُبُ أجوازَ الفلاةِ التَّنائفِ
إذا صوَّتَ الحادي بهِنَّ تَقَاذَفَتْ تَسَامى بأعناقٍ وأيدٍ خَوانِفِ(١٦)

ويبدو أن القلق واليأس قد استبدا بالشاعر بسبب سلب حريته وتقييد حركته فوجد في ناقته متنفسا لهمه وحيرته من خلال إسقاط ما يتمناه عليها ، فقوله : (تعسفت بنا) أي تجتاز الفلوات والقفار على غير هدى ، فحركة الناقة غير الواضحة السبيل وان كان الهدف محددا يدل على شدة انفعال الشاعر بسبب شدة وقع السجن عليه فاسقط انفعاله على الناقة وحركتها .

يلجا الشاعر إلى تشبيه الناقة عندما يجد أن وصفه لها لا يستوعب صفاتها كلها، فيخلع عليها صفات منتزعة من رموز تدل على القوة والعظمة ، فهو يشبهها بالسفينة ولكنها (سفينة بر) ، وهي تشبه ناقة جرير التي تشبه السفينة (قرواء) وقد رفعت الشراع ، إلا إنها برية!، يقول:

سفينةُ برٍّ مُستَعَدٌّ نَجاؤها لتوجابِ روعاتِ القُلُوبِ الرَّواجفِ
عُذافِرَةٌ حَرْفٌ تَئِطُّ نُسُوعُها منَ الذَّامِلاتِ الليلَ ذاتِ العَجارِفِ
كأنَّ نَديفَ القطنِ أُلبِسَ خَطمُها بهِ نَدْفُ أَوتارِ القِســـــيِّ النوادِفِ (١٧)

فالناقة هنا عظيمة كالسفينة ، تشق الرمال لتصل براكبها إلى مقصده ناجيا من (روعات القلوب) التي تروعه في الأمكنة العسيرة الارتياد ، وهي شديدة وسريعة في

عدوها غير مبالية ، شرسة صعبة المراس ، ويشبه الزبد الذي يخرج من فيها بنديف القطن ، وخروج الزبد يدل على ما تبذله من جهد في سيرها .

ويفزع الشاعر مرة أخرى مما أصابه وقومه من فاقة وقحط إلى (الخليفة) منقطعا إليه يشتكي حاله وحال قومه الذين أصابهم القحط (عضُ الزمان) ، فقد استحال الزمان وحشا كاسرا عض عليهم بناب الفقر والفاقة ، فلم يبق لهم من المال إلا ما دخله الغش والحرام والحيلة (مسحتا) أو المال البائد المستأصل (مجرّف) ، فكان ذلك مدعاة لان ينتدب ناقته التي أسبغ عليها صفات القوة والتقحم ، وهذا ديدن ناقة الفرزدق في تقحم الصعاب على غير هدى إلا أنها ناجية في نهاية المطاف تصل براكبها إلى ممدوحه(١٨).

وقد يلجأ الشاعر إلى إسناد صفات القوة والجلد إلى ناقته عندما ينتدبها للقيام برحلة تحمل من الأهمية ما يوجب عليه أن ينسب لها كل صفات القوة والسرعة والجلد ، ففي قصيدة يمدح فيها العباس بن الوليد بن عبد الملك ، يحمل حاجته إلى ممدوحه على ناقة جمعت الصفات المعنوية كعراقة النسب (بنات المهاري)، والصفات الجسدية إذ شبهها بالجمل في قوته (جمالية)، يقول فيها (من الطويل):

إليكَ ابن خيرِ الناسِ حمّلتُ حاجَتي ... عَلى ضُمّرٍ كُلّفن عَرْضَ السّنائفِ

بَناتِ المَهاري الصُّهْبِ كلّ نَجيبَةٍ ... جُمَالِيّةٍ تَبْرِي لأعْيَسَ رَاجِفْ

يَظَلّ الحَصى مِنْ وَقْعِهِنّ كأنّما ... تَرَامى به أيدي الأكُفّ الحَوَاذِفِ

إذا رَكِبَتْ دَوّيّةً مُدْلَهِمّةً ... وَصَوّتَ حادِيهَا لَها بِالصّفاصِفِ (١٩)

ولما كانت ناقته تحمل هذه الصفات فهي تحث الخطى نحو الممدوح دون كلل أو ملل،غير انه يلجأ إلى صورة تشبيهية ليسبغ على هذه الناقة مزيدا من الصفات غير المألوفة أو الخارقة من خلال تشبيهها بـ (الجنان) ، ويبدو انه أراد بذلك إظهار سرعتها ، فهي تبلغ بصاحبها بزمن لا تقوى عليه ناقة أخرى ، ولعله استقى ذلك من ثقافته الاسلامية (٢٠) :

تَغالَيْنَ كالجِنّانِ حَتى تَنُوطَهُ ... سُرَاها وَمَشْيُ الرّاسِمِ المُتَقاذِفِ

عِتاقٌ تَغشّتْها السُّرَى، كُلَّ لَيلَةٍ ... وَرُكْبانُها كالمُهْمَهِ المُتَجانِفِ

كأنّ عَصِيرَ الزّيْتِ مِمّا تَكَلّفَتْ ... تَحَلّبَ مِنْ أعْناقِها وَالسّوَالِفِ

عَوَامِدُ للعَبّاسِ لمْ تَرْضَ دُونَهُ بقَوْمٍ وَإنْ كانُوا حِسانَ المطـــارِفِ(٢١)

ونجد الفرزدق في قصيدة أخرى ــ يهجو (مرة بن محكان) أخا بني ربيع بن الحارث ــ يستطرد في وصف ناقته فيشبهها بالفرس الشامخ الرأس (مشترف إلى الشخاص)، يقول فيها في مقطع الرحلة طلبا لديار المحبوبة (ظمياء):

لا كيفَ إلا على غَلباءَ دوسرةٍ تَأوي الى عَيْدَةٍ للرَّحلِ مَلمُومِ
صَهباءَ قد أَخلَفتْ عامينِ بَاذلَها تَلُطُّ عن جَاذِبِ الأخلافِ مَعقُومِ
إحدى اللواتي إذا الحادي تَناولَها مَدَّتْ لها شَطَنَ القُودِ العَياهيمِ(٢٢)

والفرزدق لا يكتفي بالافتخار بنفسه وقومه فقط ، بل نجده يفخر بناقته فهي شامخة ترفع رأسها تيها وتفاخرا ، يقول:

صَيْداءَ شَأْميةٍ حَرْفٍ كَمشْتَرِف الى الشِّخاصِ منَ التَّضْغانِ محجومِ(٢٣)

ولما كان الشاعر قد ابتدأ قصيدته بالغزل ، فكان حقا عليه أن ينتدب ناقة قوية صلبة وسريعة لتبلغ به ديار المحبوبة ، وقد فعل ، فناقته (غلباء) و(دوسرة) ، وهذه صفات الناقة القوية ، إلا انه سرعان ما أدار ظهره إلى هذه المعاني ، وتداعى في وصف شموخ ناقته وترفعها وارتفاعها ، فهي تبدو له كـ (كفرس شامخ الرأس) ، او كـ (أخدري فلاة) يقيم على مربأة عالية ليترصد ، ويشرف على أتنه ــ كما سيتضح لنا في مبحث لاحق ــ ويبدو أن الشاعر لم يعر ما ابتدأ به من الاهتمام بقدر ما انتهى إليه وهو الهجاء، ولعل مقام الفخر هنا يناسب غرض القصيدة وهو هجاء (مرة بن محكان) ، فالشاعر يقابل الحط من شأن المهجو بالفخر والارتفاع بنفسه وبمتعلقاته كالقبيلة أو الناقة .

وفي قصيدة أخرى يمدح فيها عبد الملك بن مروان، ينتقل إلى مقطع الرحلة بتوجيه الخطاب إلى الناقة، يقول فيها(من الوافر):

أقول لناقتي لمّا ترامت بنا بِيدٌ مُسَرْبلةُ القِتامِ:
أغيثي مَنْ وراءَكِ من ربيعٍ أَمامَكِ مُرسَلٍ بيديْ هِشامِ
....
فإن تُبْلِغْكِ أربَعُكِ اللّواتي بِهِنَّ اليكِ أرجِعُ كُلّ عامِ
تكوني مِثْلَ مَيّتَةٍ فحَيّتْ وقد بَلِيَتْ بِتَنْضاحِ الرِّهامِ

قَدِ اسْتبطأتُ ناجيةً ذَمولا وإنَّ الهمَّ بي فيها لسامي
أقول لها إذا عَطَفَتْ وعَضَّتْ بِمُوركَةِ الوِراكِ معَ الزِّمامِ
إلام تَلَفَّتينَ و أنتِ تحتي وخَيْرُ الناسِ كُلِّهُمُ أمـــــامي(٢٤)

وهنا ينحو الشاعر منحى آخر في تعاطيه مع مقطع الرحلة في القصيدة المدحية خاصة، من خلال حديثه مع الناقة ، فهو يكلمها كمن يعقل الكلام ويعيه ، ففي حديثه مع ناقته في أثناء الرحلة الذي يستحثها فيه ويمنيها الأماني ، إنما هو حديث مع النفس ودعوة لها على تحمل مشقة الرحلة نحو الممدوح ؛ لان في تحقيق هذه الغاية سيكون الفوز بعطاء الممدوح وفيه ستتحقق الراحة والظفر بالجائزة ، يقول:

متى تَأتي الرَّصافةَ تَستَريحي من التهجير والدَّبرِ الدَّوامي
ويُلقى الرَّحلُ عَنكِ وتَستَغيثي بِملْءِ الأرضِ والمَلكِ الهُمامِ (٢٥)

فالإغاثة والراحة مطلبان ينشدهما الشاعر ويعلل النفس بهما من خلال خطابه للناقة ، فما يتعلق بالناقة كالاستراحة ، وإلقاء الرحل يعني وصول الوجهة التي انطلقت من اجل بلوغها لا غير، أما فيما يتعلق بالشاعر فيعني انتهاء الهموم وتفريج الكربة ، والاستقرار بعد الترحال وذلك بضمان كسب عطاء الممدوح.

ولا يكتفي الشاعر عند هذا الحد إذ إن وصول القافلة إلى ضالتها يفترض أن يكون هو المطلب الرئيس إلا انه يعود مرة أخرى إلى الرحلة لينتقل من سرد حديث دار فيما مضى بينه وبين ناقته إلى وصف قوة اندفاع الناقة وسرعتها من خلال حشد صور تشبيهية متعددة :

كأنّ اراقماً عَلِقَتْ يَداها مُعَلَّقَةً الى عمدِ الرّخامِ
تَزِفُّ اذا العرى لَقِيَتْ بُراها زَفيفَ الهادجاتِ من النّعامِ
إذا رضراضة وَطِئتْ عليها خَضَبنَ بُطُون مُثْعَلَةٍ رِثـــامِ(٢٦)

كرس الشاعر هذه القطعة من القصيدة لوصف سرعة انطلاق الناقة واضطراب حركة قوائمها من خلال توظيف عنصر الخوف في حث الناقة على الإسراع في سيرها ، فعمد إلى عرض صورة تشبيهية استقاها من بيئته الصحراوية ، فادخل الأفاعي وهي (رمز صحراوي) يثير الرعب والخوف ليس في الإنسان فحسب بل وفي الحيوان أيضا ،

فشبه حركة الناقة وسرعة اندفاعها كالتي تنطلق بسرعة لتتخلص من نهش الأفاعي المعلقة بقوائمها، أما القوائم فقد استعار لها (شكلا) تتمثل فيه القوة والضخامة (عمد الرخام) ، ثم عزز ذلك بصورة تشبيهية أخرى جادت عليه بها بيئته أيضا فقد وظف (زفيف) النعام في رسم صورة حركية لناقته التي تسرع في سيرها فتشابهت حركتاهما ، فالشاعر قد اتكأ على صورتين من البيئة ليصور من خلالهما سرعة الناقة.

ويمكن أن نجمل القول في ناقة الفرزدق إنها لا تعدو أن تكون وسيلة الشاعر لبلوغ ممدوحه لينال جائزته ، فنجده يحتال لحث الناقة لتحقق له أمله في الوصول بأقصى سرعة ليضع حدا لهمومه مسقطا عليها هذه الأماني من خلال حديثه الذي يوجهه اليها ، وهو في الحقيقة حديث مع النفس ، واسند لناقته صفات الشموخ والرفعة ولم يعرج على الحديث عن نسب ناقته مثلما وجدناه عند جرير ويبدو أن الشاعر (الفرزدق) قد أغناه نسبه عن ذلك... وهذا يعزز ما ذهبنا إليه من أن جريرا حاول أن يجد معادلا لضعة نسبه بالحديث عن ناقته فخلع عليها صفات النجابة والعراقة وكرم النسب.

أما الأخطل فهو من الشعراء الذين حافظوا على النمط التقليدي من القصيدة العربية في بنائها وفي معانيها ، وهو الوحيد من بين شعراء طبقته ، ظل محافظا على استعمال الوصف القبلي بمشاهدة موسعة للحياة الصحراوية (٢٧)، ولقد كان للناقة ـــ راحلة الشاعر في رحلته ـــ حضورها المتميز، إلا أن الشاعر قد انتهج نهجا يكاد يميزه من أقرانه من شعراء طبقته ، فقد اطرد تشبيهها بحمار الوحش تارة ، وتشبيهها بالثور الوحشي تارة أخرى ؛ ولعله ـــ في ذلك ـــ قد أفاد من أسلافه ، من شعراء العصر الجاهلي ، ولعله يقترب من النابغة الذبياني وهو يشبه ناقته بالثور الوحشي ويستطرد في وصفه حتى يخيل للقارئ أو المتلقي أن الشاعر قد نسي أمر ناقته (٢٨)، ففي قصيدة له افتتحها بمقدمة غزلية خمرية مدحية تخلص فيها الى وصف الناقة التي تحمله إلى ديار المحبوبة (أروى)، يقول فيها(من البسيط):

هل تُدنيكَ منْ أروى مُقَتَّلَةٌ لا ناكتٌ يُشتَكى منـــــها ولا زَوَرُ(٢٩)

ثم يشبه ناقته بحمار الوحش ويتداعى بوصفه ـــــ كما سيتضح لاحقاـــــ ثم يخلص إلى وصف الناقة، فهي من النياق التي يُؤمن عِثارها في السفر، وهي صفة محببة في

النهار، فإذا كانت في الليل (أمون الليل) فذلك منتهى الطلب، وهي (ناجية) بمن تحمل، وتتمتع بقوة ونشاط (فيها هباب) ما لا يدانيها فيه غيرها من النياق السريعة.

يمعن الشاعر في وصف الناقة فلا يقتصر على وصف قوتها ونشاطها وتحملها للصعاب بل يصف جسمها، فهي (قنواء) ،و (نضاحة الذفرى)، و(مفرجة) ، وهنا تضافرت الصفات الخَلقية للناقة مع الصفات (المكتسبة) لترسم لنا صورة مثالية لها، في سرعتها فهي (تسمو) مثيرة تطاير الحصى الناعم المتكسر محدثا شرارا، يقول (من البسيط):

فسَلَّها بأمونِ الليلِ ناجيةٍ ... فيها هِبابٌ إذا كلَّ المراسيلُ

قَنواءَ نضَّاخةِ الذِّفرى مُفَّرجةٍ ... مِرفقُها عن ضُلوعِ الزَّوْرِ مفتولُ

تسمو كأنَّ شَراراً بين اذرُعِها ... من ناسفِ المرْوِ مرضوحٌ ومنجولُ(٣٠)

ولا يجد الشاعر في وصف الناقة في هذه الأبيات ما يحيط بصورتها المتحققة في ذهنه ، أو ما يريد أن يصوره للمتلقي ، فيلجأ إلى التشبيه إذ يشبهها بحمار الوحش على مدى خمسة عشر بيتا ـ كما سيرد في مبحث لاحق ـ حتى يكاد المتلقي ينسى موضوع الرحلة ووسيلتها الرئيسة (الناقة).

وفي قصيدة يمدح الشاعر فيها احد بني أمية يبدؤها بمقدمة غزلية تستغرق الأبيات الستة الأولى، ثم يتخلص إلى الناقة مفتخرا بقطع الفلوات الموحشة والبعيدة على ظهر ناقته التي خلع عليها صفات القوة، فهو يشبهها بالصخرة دليلا على قوتها وجلدها في قطع المهامه، يقول(من البسيط):

ومهمهٍ طامسٍ تُخشى غوائلُهُ ... قطعتُهُ بكلوءِ العينِ مسهارِ

بِحُرَّةٍ كأتان الضَّحلِ أضمرها ... بعدَ الرَّبالةِ ترحالي وتَسياري

أُختَ الفلاةِ اذا شُدَّت مَعاقِدُها ... زلّت قوى النِّسعِ عن كبداءَ مِسفارِ

يصف ناقته بأنها يقظة متحفزة فهي (كلوء العين)، وهي كالصخرة في قوتها اذ يتداخل التشبيه ؛ لأنه يشبه ناقته بصخرة الماء؛ لصلابتها ؛ لان الصخرة إذا لامست الماء صارت ملساء وتصلبت(٣٢)، ويسمي هذه الصخرة بـ (أتان الضحل)، ولاشك ان هذه الصور الثلاث المختلفة المتشابهة ، للناقة والصخرة والأتان كانت تتداعى إلى مخيلة

المتلقين القدماء تداعيا سريعا(٣٣)، قد الفت الصحراء الدارسة المعالم (أخت الفلاة) وهي عظيمة الصدر (كبداء) قد اعتادت كثرة السفر (مسفار). نجد الشاعر كعادته يخلع على ناقته من الصفات الجسدية المحسوسة الظاهرة التي ترمز إلى القوة والنشاط (تشبيهها بالصخرة) ، وعظم الجسد، وتمتزج هذه الصفات بأخرى (معنوية) فهي (حرة) وهي كثيرة السهر (مسهار) وغير ذلك.

لا يكتفي الشاعر بوصف ناقته إذ يجد هذا الوصف قاصرا عما يريد لهذه الناقة من قوة وجلد ونشاط وتحفز فيلجأ إلى التشبيه، فهو يشبهها ببرج الرومي:

كأنَّها بُرجُ روميّ يُشَيِّدُهُ لُزَّ بجصٍّ وآجُرٍّ وأحجارِ

فهي تماثل (برج الرومي) شموخا وارتفاعا((فالمماثلة بين الناقة وبرج الرومي لا تقوم على الدقة التقريرية في الشبه الحسي بل على المماثلة في الصورة النفسية، إذا جاز التعبير، فيه إفصاح عن الشموخ والارتفاع ... ومعنى الصلابة وإحكام البنيان وما إلى ذلك مما يقع وقعه في الأنفس)) (٣٤).

غير أن الشاعر سرعان ما يجنح بتشبيهاته إلى البيئة الصحراوية إذ يبدو إن الصورة الجديدة لناقته التي تشكلت عبر (برج الرومي) لا تلبي طموحه في وصفها فعدل إلى الصحراء يلتمس من بين فلواتها ما يلبي هذا الطموح ، فيشبهها بالثور او الحمار الوحشيين.

ويمكن القول بأن الأخطل يقترب كثيرا في وصف الناقة وتشبيهاتها ممن سبقوه من الشعراء وبخاصة النابغة الذبياني إذ نجد تشابها بينا بين ناقتيهما(٣٥). والأخطل لا يكتفي بوصف الناقة بل يعمد إلى تشبيهها بالحمار والثور الوحشيين ويوغل في وصفهما حتى ينصرف ذهن المتلقي عن الناقة ، فهو لا يعود اليها إلا ما ندر.

لقد تمسك الأخطل بالناقة على هذا النحو على الرغم من تراجعها في شعر شعراء طبقته إذا ما قيس بحضورها في الشعر الجاهلي، فقد كان حضور الناقة في شعر الأخطل الأكثر من بين أقرانه كجرير والفرزدق.

وكان كثيرا ما يركز على معركة الثور الوحشي مع كلاب الصيد مسقطا للصراع الذي يخوضه الإنسان في حياته وما يتجاذبه من صعاب وملمات في هذه المعركة ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالحمار الوحشي ومعاناته في سياسة أتنه.

إما الراعي، فقد وقف طويلا في حضرة ناقته التي أشركها همومه ، فجالت به في فلوات صحرائه التي شغف بوصفها ، وتفنن في رسم جزئياتها (٣٦)، فقد كان ((انعت الناس لمحلوب في القصيدة)) (٣٧)، ففي قصيدة يمدح فيها عبد الملك بن مروان ، ويشكو السعاة، بدأها بذكر همومه ومتاعبه التي قضّت مضجعه ، فما كان منه إلا أن يعلو ظهر ناقته هربا من هذه الهموم التي أرقته، وأذهبت النوم من عينيه حتى بدا ذلك واضحا لابنته (خليدة) التي ألحت عليه بالسؤال عن سبب ذلك ، فانطلق في رحلته التي امتدت على مدى ثمانية وعشرين بيتا ولم ينتدب لها ناقة واحدة ، بل انتدب (قلصا لواقح) ، وأُخرَ (حولا) ، ولعل سوق هذا العدد من النياق يظهر شدة ما يعتري الشاعر وقومه من آلام وهموم ، فحاول أن يوزع هذه الهموم على مجموعة من الرواحل بقوله: (اقريهما) إمعانا منه في إمضاء الهم(٣٨)، يقول فيها (من الكامل):

اَخَيلدُ إنَّ أباكِ ضافَ وِسادَهُ هَمَّانِ بَاتا جَنبَةً ودخيلا
طَرَقا فتلكَ هماهمي اَقريهما قُلُصا لواقِحَ كالقِسِيِّ وحُولا
شُمُّ الكواهِلِ جُنّحا اعضادها صُهْباً تُناسِبُ شَدقَماً وجديلا (٣٩)

ومن الطريف أن كلا من الراعي وجرير قد استعملا هذه العبارة في عجز بيتين من قصيدتيهما ، في مدح ممدوح واحد ، وهو عبد الملك بن مروان ، فجاءت عند الأول (الراعي) منصوبة على المفعولية (اقريها قلصا لواقح كالقسي وحولا) ، في حين وردت في قصيدة الثاني (جرير) مرفوعة على الفاعلية (قُلُصٌ لَواقِحُ كالقِسِيِّ وَحُولُ)، ففي الأولى أشرك الشاعر نياقه بهمومه فأحال عليها بعض همومه لشدة وقعها عليه ، إذ يبدو أن الشاعر قد حمل أعباء عشيرته وما يؤكد ذلك انه اشتكى هم جماعته إلى (الخليفة) بعد مقطع الرحلة الذي طال، في حين نهضت نياق جرير بأعباء المهمة ؛ لأنه انقطع إليها فأوكل اليها مهمة قطع القفار والوصول للممدوح .

والشاعر شأنه شأن سابقيه حرص على أن تكون ناقته تنحدر عن نسب كريم ، فناقته ينتهي نسبها إلى شدقم وجديل ، ولا يقف عند هذا الأمر بل نجده يختار لهذه الناقة أُماً (نجيبة) من نجائب المنذر بن ماء السماء و(محرق) عمرو بن هند :

بُنيتْ مَرافَقُهِنَّ فوقَ مَزَلّةٍ لا يستطيعُ بها القُراد مَقيلا

كانت نجائبَ مُنذرٍ ومُحرِّقٍ أمّاتُهنَّ وطَرْقُهنَّ فَحيلا
وكأنَّ رَيِّضَها إذا باشَرَتها كانتْ معاودةَ الرَّحـــيل ذلولا (٤٠)

وناقته قوية ومكتنزة لا نصيب للقراد فيها ، وهذه سمة الصحة فسلامة البدن من الآفات دليل على القوة ، واللافت أنها حافظت على قوتها وعنفوانها على مدى رحلتها الطويلة فلم يصبها تعب ولا نصب على الرغم من إسقاط جنينها ، فهي (شملة) سريعة الحركة تتقدم أخواتها فهن (يتبعن مائرة اليدين) . في حين تبين لنا أن الناقة عند غيره قد أصابها التعب والهزال وان اتفق الجميع على عراقة النسب.

ويبدو أن سر بقاء ناقة الراعي قوية مكتنزة يعود إلى الغاية المرجوة منها في غرضها الرئيس ، فغرض القصيدة الذي تدور حوله هو الشكوى من السعاة الذين أثقلوا كاهلهم بجباية الأموال ، وان كانت القصيدة لا تخلو من المديح ، فقد كان هم الشاعر هو الوصول إلى من يقدم شكايته إليه ، وهنا لابد أن يجد السير على ناقة قوية على مدى الرحلة ، ولو كان الغرض مديحا خالصا لحق على الشاعر أن يصل إلى ممدوحه على ناقة مهزولة تعبة.

لقد أخذت الناقة مأخذها من اهتمام الشاعر فهي حاضرة في وجدانه دوما ، يشبهها ويشبه بها ، ففي قصيدته التي يمدح فيها سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، شبه الأثافي في مقدمته الطللية بالنوق من خلال استعمال مفردة اختصت بها الإبل دون غيرها (أُنخنَ) ، وكأنه يمهد لانتقاله إلى وصف الناقة، إذ يقول:

أُنخنَ وهُنَّ اغفالٌ عليها فقد تركَ الصَّلاءُ بهنَّ نـــــــارا (٤١)

ثم يبدأ بوصف ناقته فهي سمينة (ذات أثارة)انفردت برعي نبات جمادى الذي سقته المزن، فداومت على رعيه أشهرا حتى ارتفع شحمها (سار النَيُّ) :

وذاتِ أثارةٍ تَركتْ عليه نباتاً في أكمَّتِه قفارا
جُمادياً تَحِنُّ المُزنُ فيه كما فَجّرْتَ في الحَرْثِ الدِّبارا
رَعَتهُ أشهراً وخلا عليها فسارَ النيُّ فيها واستغارا
طلبتُ على محالِ الصلْبِ منها غريبَ الهمِّ قدْ منعَ القرارا
فأبتُ بنفسِها والآلِ منها وقدْ أطعمتُ ذروتَها السفارا

ثم يصف البئر والدلو وعملية سقي (الرَسَل) (٤٢) من الإبل العطاش على عجل ليستأنفَ صوتُ الحداة الرحلةَ نحو الممدوح:

وأخضرَ آجنٍ في ظلِّ ليلٍ سقيتُ بجمهِ رسلاً حرارا
بدلوٍ غيرِ مكربةٍ أصابتْ حماماً في مساكنهِ فطارا
سقيناها غشاشاً واستقينا نبادرُ من مخافتها النهارا
فأقبلها الحداةُ بياضَ نقبٍ وفجاً قد رأيْنَ لهُ إطارا
بحاجاتٍ تحضرها عدُوٌّ فما يسطيعُها إلاَّ خطـــارا(٤٣)

ومما يلفت النظر في هذه القصيدة أن الشاعر قد اختزل من مقطع الرحلة مفصلا مهما وهو الرحلة نفسها! فاقتصر الحديث على (مقدمة) الرحلة ، وهي الاستعداد لها إذ اعد نياقا سمينة مكتنزة تتحمل مشقة اجتياز الصحراء ، فتزودت بزاد السفر الطعام من (نبات جمادى) والماء من (اخضر آجن)، ثم يتحول إلى الممدوح الذي حلت نياق الشاعر بفنائه فجأة وهي بحال غير حالها قبل الشروع بالرحلة :

وانضاءٍ أنَخنَ الى سعيدٍ طَروقاً ثمَّ عَجّلنَ ابتكارا
على اكوارِهِنَّ بنو سَبيلٍ قليلٌ نَوْمُهُمْ إلا غِرارا
. . . . . .
فصَبّحنَ المِقَرَّ وهُنَّ خوصٌ على روحٍ يُقَلِّبنَ المحـــــارا (٤٤)

ثم يسترسل بوصف الناقة مشبها إياها بحمار الوحش الذي يستغرق وصفه اثنين وعشرين بيتا يصف فيها معاناة الحمار وهو يسوس أتنه ، ويدفع عنهن خطر الصياد ، نفث فيها الشاعر همه ومعاناته هو ، فأسندها إلى الحمار ، فإطالة الحديث عن الحمار جاءت استجابة لمشاعر الشاعر وهمومه التي استفرغها في هذا المقطع.

لقد أغدق الشاعر على ناقته بصفات معنوية كعراقة النسب سواء أكان نسب الآباء (شدقم وجديل) أو الأمهات التي تعود إلى (نجائب منذر ومحرق)، فضلا عن الصفات الجسدية، فوصف شكلها وقوتها وسرعة اندفاعها ، وساق لتقريب صورتها لدى المتلقي من خلال سيل من التشبيهات التي انتزعها من بيئته الصحراوية التي طبعت شعره بطابعها ووسمتها الطبيعة بأنوائها ورياحها وإمطارها بميسمها ...

Abstract

The camel is not absent in the Arabic poem asit is a means of amusement .a means by which the poet escape from his painful present through a journey that could last for a long or short amount at time .This journey is considered as an important part in the Arabic p0em that save its traditional shape in spite of the development inherited that effect the Arab people life.

The researcher tries to stop at describing the camel in the journey part of verse of the Islamic first class poets which they do not deny . The camel is present in their verses . poets describe the camel in ways that sometime they share the same description and sometimes not.

Jareir is interested in the moral description of his camel over its sensual description. He stops a lot on origin. On the contrary , Farazdaq focuses on (physical sensation) . He describes it only for its physical appearance . He is so close to his camel that he speaks to it as if it comprehends what he said. While Al-Akhatal sided with in heritage. He benefits from the camel (its potrate ,words and phrases) that has been used by other poets before him. Al-Raee Al- Numayre has described his camel too much even in away that include minor scenes that surround it (the camel) describing the desert ,wind , rain and other elements of the environment.

هوامش البحث

(١) ينظر : ادب العرب في عصر الجاهلية / ٦٤.

(٢) وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي / ٣١٨.

(٣) ديوان جرير / ٩٣. الذميل : السير اللين. القلص : جمع قلوص ، من الإبل وهي الطويلة القوائم، الشابة منها. اللواقح : الإناث التي في بطونها أولادها. الحول: جمع حائل ، الأنثى التي مضى عليها حول و لم تلد. النجب : جمع نجيب أو نجيبة، النفيس. من السر العتيق: أي من خالص الإبل وأفضلها. شدقم وجديل : فحلان مشهوران.عزت : غلبت . لحق: ضمر . الثميل : ما بقي في الإناء أو الحوض وغيرهما.

(٤) ديوان جرير / ٩٣ – ٩٤ . تشنعت : أسرعت في مشيتها. قرواء : سفينة مرتفعة القرا (ظهرها). الجفول : المسرعة . متماحل : من تماحلت بهم الدار : تباعدت.المعرج : المناخ .

(٥) الداعري : فحل منسوب الى داعر بن الحماس احد بني الحارث بن كعب.

(٦) ديوان جرير / ٦٨٥. التنائف : الفلوات . الوخد : سعة الخطو والسرعة في المشي .المنسمان : الظفران في مقدم الخف . اليعملات : السراع.

(٧) م ن / ٦٤٠ . الحنى : جمع حنية ، وهي القسي . أملها : أضجرها . نزع النجائب : أي نزعت اليه في الشبه . سموة من شدقم : أي سما على امهاتها. الارحبي والنظار : فحلان . يهجمها : أي يجلب عرقها ، يقال هاجرة هجوم : أي جلوب للعرق . المغابن : الارفاغ ، جمع مغبن ، وهي الآباط . الذفريان : الخَيدان الناتئان في قفا البعير ، واحده الذفرى ، وهي أول ما يعرق من البعير . القار : هناء تهنأ به الإبل . العرائك : الاسنمة. الرار : الرقيق.

(٨) الآل : يكون ضحوة، وهو الذي يرفع الشخوص ، والسراب يكون نصف النهار ، وهو الذي يلصق بالأرض(ينظر : ادب الكاتب / ٢٩ وما بعدها).

(٩) ديوان جرير / ٦٢٣. القلاص : جمع قلوص ، وهي الفتية من الابل . اليسر : الذين يضربون بالقداح . السهوب : جمع سهب ، وهو المستوي من الارض . عسفن : اخذن على غير هدى وبيان .. الصوى : جمع صوة : العلم يوضع على الطريق هداية للمسافرين. خلجوا : جذبوا . البرة : حلقة من صفر تكون في منخر البعير الايسر ، فإن كان في العظم فهي خشاش وخشاشة .

(١٠) ديوان جرير / ١٤٥ . تنوي : تقصد . تنسجها : تحركها وتهزها .. النَّجائِبُ العِيديَّةُ، أو نِسْبَةٌ إلى العِيديِّ بنِ النَّدَغِيِّ بنِ مَهْرَةَ بنِ حَيْدانَ، أو إلى عادِ بنِ عادٍ، أو إلى عادِيِّ بنِ عَادٍ، أو إلى بني عِيدِ بنِ الآمِرِيِّ (القاموس المحيط : ١/ ٣٨٦). المَيْسُ: شَجَرٌ من أجود الشّجر خَشَباً، وأصلبه، وأصلحه لصَنعة الرِحال، ومنه تُتَّخَذُ رِحال الشّام، فلما كَثُرُ قالت العرب: المَيس: الرَّحْل.(كتاب العين / ماس). اليعافير : جمع يعفور ، وهو نوع من الظباء ، لونه كلون التراب. انْتَصَب الحِرْباء في العُود وذلك أَنّ الحِرباء يَنْتَصِبُ على الحجارةِ وعلى أَجْذالِ الشجَرِ يَسْتَقْبِلُ الشمسَ فإذا زَالَت زَالَ مَعَها مُقابِلاً لَها(لسان العرب /حرب).

(١١) في الشعر الإسلامي والأموي / ٣٢١.

(١٢) ينظر : م ن / ٣٢١.

(١٣) ينظر : على سبيل المثال : ديوان امرئ القيس / ٥٣ ، وديوان النابغة الذبياني/ ٣٦ .

(١٤) ديوان الفرزدق / ٤٧.المايرة : المتحركة ، النتيج : الولد، ناج: مسرع. هباب: غبار.

(١٥) وهذا يذكرنا بفرس امرئ القيس ـ التي استخدم معها هذه الأدوات ، يقول:

فللسَّوْطِ أُلْهُوبٌ ولِلساق درَّةٌ وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ

(ديوان امرئ القيس /٥١). المنعب : الذي يستعين بعنقه في الجري ويمده.(وينظر: الشعر والشعراء :٢١٨/١)

(١٦) ديوان الفرزدق / ٣٧١. تعسفت : سارت تبتغي هدفها على غير هدى. التنائف : جمع تنوفة ، وهي البرية التي لا ماء فيها ولا أنيس. الخوانف : تقليب الاخفاف .

(١٧) م ن / ٣٧١. سفينة بر : يعني الناقة . نجاؤها : حسدها ، يقصد الاصابة بالعين . عذافرة : ناقدة شديدة . الحرف : الهزيلة . نسوعها : السيور التي تربط بها الاحمال . الذاملات : التي تسير الذميل ، وهو ضرب من السير السريع . العجارف : الواحدة عجرفية ، وهو ان يسرع البعير ولا يبالي .

(١٨) ينظر: م ن / ٣٨٦ .وللمزيد من التفصيل ينظر:البناء الفني للملحمات في جمهرة أشعار العرب، رسالة ماجستير/٣٣ وما بعدها.

(١٩) م ن /٣٧٥. السنائف: حزام البعير الذي يشد به صدره. تبري : تسابق.الاعيس : البعير الاصفر الاطراف. الراجف : الذي يرجف رأسه من شدة عدوه. الحواذف: القواذف. الدوية : البرية. الصفاصف : جمع صفصف، الارض الصلبة.

(٢٠) من قوله تعالى : {قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ}النمل : ٣٩.

(٢١) ديوان الفرزدق / ٣٧٥. السنائف : جمع سناف ، وهو حزام للبعير يُشد من حقبه الى صدره . تبري : تسابق . الاعيس : البعير الاصفر الاطراف . الراجف : الذي يرجف رأسه من شدة عدوه . الحواذف : القواذف . الدوية : البرية . المدلهمة : المظلمة . الصفاصف : جمع صفصف ، وهي الارض الصلبة. تغالين : تسابقن . الجنان : جمع الجان . تنوطه : تتعبه . الراسم : السريع . المتقاذف : المتباعد. المتجانف : المائل عن الطريق.

(٢٢) م ن / ٥١٥. الغلباء : الناقة الغليظة العنق. الدوسرة: الناقة الضخمة. تلط: تجعل ذنبها بين فخذيها . الاخلاف : جمع الخلف ، الضروع . الشطن :الحبل . القود :النياق السهلة القياد . العياهيم : مفردها العيهم، السريعة العدو.

(٢٣) م ن / ٥١٥ .الصيداء: الرافعة رأسها تيهاً . المشترف : الفرس الشامخ الرأس. التضغان: الحقد. المحجوم : من حجم البعير ، جعل على فنه حجاما إذا هاج.

(٢٤) م ن / ٥٩٨ . الرهام : المطر الخفيف.

(٢٥) م ن / ٥٩٨.

(٢٦) م ن / ٥٩٩ . الاراقم : الافاعي . تزف :تسرع . العرى : عقد الحبال . البرى : حلقات الانف في البعير. الهادجات : العاديات بارتعاش. الرضراضة : الحجارة المتحركة. المثعلة : المتراكبة. الرثام :الدامية النازفة.

(٢٧) ينظر : الناقة مقطعا من قصيدة المديح، ريناتا ياكوبي ، ترجمة عبد القادر الرباعي ، بحث منشور في مجلة ثقافات ، العدد (٥) لسنة ٢٠٠٣ ، كلية الآداب ، جامعة البحرين/ ٢١٧.

(٢٨) ينظر: ديوان النابغة /١٦.

(٢٩) شعر الاخطل /٤٢٥.

(٣٠) م ن /٥٠ . الامون : الناقة التي لا تتعب من السفر. هباب : نشاط. المراسيل : جمع مرسال ، وهي الناقة الخفيفة السريعة. القنواء: الطويلة الخطم. النضاخة: الغزيرة العرق. الذفرى: عظم خلف الاذن. المفرجة : البعيدة الابط عن المرفقين.الزور : الصدر. ناسف المرو: الحصى البيضاء التي تذريها خلال عدوها. مرضوخ: مكسور. منجول: مدفوع.

(٣١) م ن / ١٢٤. حرة : ناقة كريمة . الاتان : الصخرة الكبيرة . الضحل : الماء القليل . الربالة : السمن والخصب. كبداء : ضخمة الصدر.

(٣٢) ينظر : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه/ ٣٢٦.

(٣٣) وقد ورد هذا المعنى في الشعر الجاهلي، ومنه على سبيل المثال قول اوس بن حجر:

وقَدْ أرَاني أمامَ الحيِّ تَحْمِلُني ... جلذيّةٌ وصلتْ دأياً بألواحِ

عَيْرانَةٌ كَأتانِ الضّحْلِ صَلّبَهَا ... جرمُ السّوادِيِّ رضّوهُ بمرضاحِ

(ديوان اوس بن حجر/١٨)

ومثله قول علقمة الفحل:

هل تُلحِقَنِّي بأُولي القوم ، إذا شحطوا ... جُلْذِيَّةٌ كأتان الضَّحل عُلكومُ

(شرح ديوان علقمة/ ٦٢)

(٣٤) الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره / ٤٨١.

(٣٥) ينظر : قصيدة النابغة الرائية (عوجوا فحيوا لنعم...) الديوان /٥١ وما بعدها.

(٣٦) ينظر شعر الراعي النميري: ٤٧ــ٥٣ ، ٦٦ــ ٧٥ ، ٩١ــ ٩٩ ، ١١٢ــ ١١٥.

(٣٧) فحولة الشعراء /١٨.

(٣٨) ينظر : شعر الراعي النميري دراسة فنية/ ٣٩.
(٣٩) شعر الراعي النميري/ ٤٧.
(٤٠) م ن / ٤٨ أُماتهن: جمع ام . الريض من الدواب:الذي لم يقبل الرياضة، ولم يمهر المشية، ولم يذل لراكبه، وهو ضد الذلول.
(٤١) م ن / ٦٦.
(٤٢) الرسل : القطيع من كل شيء ، والمراد هنا قطيع الإبل.
(٤٣) شعر الراعي النميري/ ٦٨. آجن:الماء المتغير الطعم والرائحة.
(٤٤) م ن /٦٩. انضاء : جمع نضو ، وهو البعير المهزول. طروقا : أي ليلا.

قائمة المصادر والمراجع:

- الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره ، إيليا حاوي ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨١.
- أدب العرب في عصر الجاهلية ، د حسين الحاج حسن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٩٧.
- أدب الكاتب ، لابي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦ه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مبعة السعادة ، الطبعة الثالثة، ١٩٥٨.
- البناء الفني للملحمات في جمهرة أشعار العرب (رسالة ماجستير)، حسين عبد حسين حمزة الوطيفي، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٩٦.
- ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، بيروت.
- ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري ت ٢٧٥هـ ، دراسة وتحقيق د. أنور عليان أبو سليم ود. محمد علي الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الطبعة الأولى، العين، ٢٠٠٠.
- ديوان اوس بن حجر ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة، القاهرة.
- شرح ديوان علقمة الفحل، شرح السيد احمد صقر، المطبعة المحمودية ، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٣٥.
- شعر الأخطل ، صنعة السكري روايته عن أبي جعفر محمد بن حبيب ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، دار الفكر ، المطبعة العلمية ، الطبعة الرابعة، دمشق ، ١٩٩٦.
- الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، للدكتور محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة.
- شعر الراعي النميري دراسة فنية (رسالة ماجستير)، هناء عباس عليوي كشكول، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية، ٢٠٠١.
- شعر الراعي النميري دراسة وتحقيق د نوري حمودي القيسي و هلال ناجي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٠.
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة ت ٢٧٦هـ ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، الطبعة الثانية . القاهرة.
- فحولة الشعراء ، للأصمعي ، تحقيق ش . توري ، قدم لها، الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣.
- في الشعر الإسلامي والأموي ، للدكتور عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٨٧.
- القاموس المحيط ، لمجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي ، رتبه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٧.
- لسان العرب، لابن منظور(أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤١٤ هـ.
- الناقة مقطعا من قصيدة المديح، ريناتا ياكوبي ، ترجمة عبد القادر الرباعي ، بحث منشور في مجلة ثقافات ، العدد (٥) لسنة ٢٠٠٣ ، كلية الآداب ، جامعة البحرين.
- وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، حياة جاسم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٢ .